

الجنة مظهر اللانهائية: ما العلاقة بين الجنة والرغبة في اللانهائية عند الإنسان؟

الجنة مظهر اللانهائية والإجابة عن رغبة الإنسان في اللانهائية

قلنا في الدروس السابقة إنَّ الإنسان كائنٌ يحمل في أعماقه [رغبة في اللانهائية](#). لكن، هل يوجد موطنٌ يمكن أن يُشبع هذه الرغبة؟ هل هيأ الله مكاناً غير الدنيا يستجيب فيه لعطش الإنسان نحو اللانهائية؟ وهل يصحّ القول إنَّ الجنة هي تجلّي اللانهائية، وإجابة الله عن رغبة الإنسان في اللانهائية؟ إنَّ نزوع الإنسان نحو اللانهائية يجعله يأبى كلّ قيدٍ أو حدٍّ، ويظلّ أبداً في سعيٍّ وراء ما يتجاوز ما في يده. هذه الرغبة تتجلّى في مختلف جوانب حياته؛ من التوق إلى عمرٍ سرمدي، إلى اللهفة وراء العلم المطلق، أو الحُسن الكامل. فما إن ينال درجةً من كمال أو أمنية، حتى يتطلّع إلى ما هو أعلى منها وأكمل. غير أنّ الدنيا، بما فيها من قيود وحدود، عاجزة عن الوفاء بمثل هذا الطلب؛ فهي - على سعتها - تضيق عن استيعاب الرغبة في اللانهائية.

وأما في المعتقدات الدينية والعرفانية، فتُوصف الجنة بأنها [مكانٌ خالدٌ](#)، غنيٌّ بالكمال، تُحقّق فيه كل آمال الإنسان وتطلعاته اللانهائية. وبناءً عليه، نستنتج أن الجنة هي تجلّي اللانهائية ورمزٌ لتحقيق آمانيات الإنسان الكاملة؛ حيث لا وجود لأي قيود، ويتذوّق الإنسان طعم اللانهائية الحقيقي في جميع جوانب حياته. لكن يظل التساؤل قائماً: هل تستطيع الجنة حقاً أن تكون التجلّي الكامل للانهائية؟ وهل يصل الإنسان في الجنة إلى الرضا التام، أم أن رغبته في اللانهائية ستدفعه دوماً نحو تساؤلات جديدة؟ وما هي سمات الجنة التي تجعلها مظهرًا حيًا للانهائية؟ هذه المقالة محاولة لفتح نافذة أوسع على هذه المعاني، من أجل إدراكٍ أعمق لطبيعة الإنسان وحقيقة الجنة.

إخفاق الرغبة في اللانهائية في عالمٍ محدود

إنَّ الرغبة في اللانهائية تجعل الإنسان يستشعر حاجاتٍ لا تنتهي في شتى أبعاد حياته. فهو يسعى أبداً إلى إرواء هذه الحاجات، باحثاً في كلّ شيء عن الأكمل والأعلى: علمٌ لا ينفد، قوّة لا تنحسر، جمالٌ مطلق، أو كرامة لا تزول. غير أنّ الشيء الوحيد الذي يرضيه حقاً هو اللانهائية، وهو الشيء الذي لن يناله أبداً في هذه الدنيا!

لكن لِمَ لا تستطيع الدنيا، وهي موطن الإنسان، أن تجيب على هذه الرغبة اللامتناهية؟ الجواب بَيْن: لأنّها محدودة، والمحدود لا يقدر أن يحتوي اللانهائية. غير أنّ لهذا العجز وجوهاً ثلاثة أساسية:

الزمن المحدود

عمر الإنسان في الدنيا لا يتجاوز عقوداً قليلة. حتى أولئك الذين جاوزوا المئة لم يُوقِّفوا إلى بلوغ جميع آمالهم؛ إذ تبقى رغبات كثيرة مؤجلة، وتنطفئ الحياة قبل أن تتحقّق، فيظلّ الإنسان أسير الحسرة والانتظار.

المكان المحدود

إلى جانب ضيق العمر، يُحاصر الإنسان بالمكان أيضاً؛ فهو لا يستطيع أن يوجد في موضعين معاً، ولا أن يتجاوز أبعاده المكانيّة. إنّه محكوم دوماً بحدودٍ جغرافية، وهذه من أبرز صور محدودية الدنيا في مواجهة الرغبة في اللانهائية.

القدرات المحدودة

وما يُقال عن الزمن والمكان يُقال عن الإمكانيات والموارد. فالدنيا بطبيعتها عاجزة عن تقديم كلّ شيء بغير حدٍّ؛ إمكانياتها قاصرة، ولن تبلغ الكمال الذي يُشبع رغبة الإنسان في اللانهائية. وحتى لو تقدّمت العلوم أحياناً بعد أجيال، وتضاعفت الاختراعات أضعافاً مضاعفة، فلن يُروى هذا العطش الكامن في الإنسان.

ومن هنا نرى أنّ الدنيا محكومة بالحدود من جهاتٍ ثلاث: الزمن، والمكان، والقدرات. وهذه القيود تجعل من تحقيق الرغبة في اللانهائية أمراً مستحيلًا في الدنيا. فهي إذن تجلّي المحدود، بينما الجنّة تجلّي اللانهائية.

لماذا الجنّة تجلّي اللانهائية؟

لكن، لماذا نصف الجنّة بأنّها تجلّي اللانهائية؟ صحيح أنّ الله جعلها ثواباً للمؤمنين، ولكن قلنا في دروس سابقة إنّها ثوابٌ لجسد الإنسان وروحه، فكيف في الوقت ذاته تُجسّد الرغبة في اللانهائية؟

فمن أبرز أبعاد هذه الحقيقة أنّ الجنّة موطن تتحقّق فيه كلّ صور الحياة المثالية؛ عالم يفوق حدود المادّة، يسري فيه الخلود، وتتحقّق فيه جميع الأمنيات دون عائق. في الجنّة كلّ شيءٍ وافٍ، لا يعتره نقص، ويغمر الإنسان فيها سلامٌ ورضاً لا حدّ لهما. لهذا كانت الجنّة الجواب الكامل على الرغبة في اللانهائية.

وعلى الضدّ من الدنيا التي يقيدّها الزمن والمكان والقدرات، فإنّ الجنّة متحرّرة من هذه القيود الثلاثة جميعاً: من حيث المكان: لا حدود فيه، بل هو عالمٌ رحبٌ لا نهاية له، يستطيع الإنسان أن يتحرّك فيه حيث يشاء

بلا عائق. ومن حيث الزمان: لا يعرف الفناء، بل هو أبدأ متواصل، يُتاح فيه للإنسان زمنٌ لا ينقطع لينال مراتب الكمال، بلا خشية من موت أو انقضاء. هذه الخصيصة فريدة من نوعها في الجنة، حيث لا نهاية لحياة الإنسان، أو تجاربه، أو أمنياته. وعلى عكس الدنيا التي ينتهي فيها عمر الإنسان، فإن الجنة هي وجهة أبدية تُلبّي رغبته في الخلود. ومن حيث الإمكانيات: كلّ شيءٍ فيه مطلقٌ لا ينفد، فلا حرمان ولا ندرة، بل وفرة لا حدّ لها، تُلبّي كلّ مطلبٍ وتُشبع كلّ أمنية. بهذه الأبعاد الثلاثة يتجلّى أنّ الجنّة وحدها هي المظهر الحقّ للانهائية.

إنّ الإنسان، بما في فطرته من رغبة في اللانهائية، يظلّ باحثًا عن عالمٍ يُجيب على شوقه الذي لا يُحدّد. والدنيا، بما عليها من حدود، عاجزة عن ذلك. أمّا الجنّة، فهي بما تحمل من أبدية ولا محدودية، هي وحدها القادرة على أن تكون الجواب التامّ لرغبة الإنسان في اللانهائية.

فيها يتجاوز الزمنُ حدوده الضيّقة، فلا يُقيّد الإنسان بعددٍ من السنين. فيها يتحرّر من الجغرافيا، فيسير في آفاقٍ لا تنتهي. أما ما يجعل الجنة جذّابة حقًا للإنسان المتطلع إلى اللانهائية، فهو إمكانياتها التي لا حدود لها. ففي الجنة، لا تبقى أي رغبة بلا إجابة. فكل الإمكانيات متاحة بشكل لا نهائي؛ من الجمال الذي لا يُوصف إلى القوة، والعلم، وكل ما تميل إليه النفس.

لهذا يمكن القول إنّ الجنّة هي التجلّي الكامل للانهائية، والعالم الوحيد الذي يبلغ فيه الإنسان الكمال المطلق، والسكينة التي لا يعرف بعدها قلقًا ولا نقصًا. وهذا العالم المثالي ليس مجرد استجابة للاحتياجات المادية للإنسان، بل هو مسار روحي لتحقيق الرغبات التي لم تكن ممكنة في الدنيا المحدودة. وباعتبار الجنة تجلّيًا للانهائية، يمكننا أن ندرك هذه الحقيقة؛ أن الإنسان، في سعيه نحو اللانهائية وللوصول إلى الكمال المطلق والراحة اللانهائية، لا يجد ضالته إلّا في عالمٍ يتجاوز كلّ حدود المادة، عالمٍ بلا نهاية يتجاوز القيود المادية.